

سياسة المدرسة السوقية تجاه سلاطين

(إموشاغ)

عرفت المدرسة الدينية السوقية بسياسة الاحتفاظ على السلم وعدم الانجرار في النزاعات القبلية وإثارة النزاعات، والمتحالفات التي لم تبين على أسس شرعية وكذلك عدم المشاركة في الاحترابات الداخلية التي قلما تهدأ نائرتها بين القبائل الطارقية، قبل الاستعمار الفرنسي [] وساهمت هذه السياسة التي تنتهجها المدرسة السوقية في صحراء أزواد، في توسيع دائرة نفوذ رجال العلم والدين فيها بين هذه القبائل نظرا لمكانة أهل الدين بينهم إضافة إلى عدم وجود ثارات وعداوات سابقة بين السوقيين وبين من حولهم من القبائل .

وكانت محافظتهم على السلم كما لا يخفى نابعة عن التزامهم بتعاليم دينهم واستشعارهم للمسؤولية الملقاة على عواتقهم من قبل المجتمع الذي ينظر لهم على أنهم الممثل العليا التي تمثل القدوة للجميع وكانوا قد وجدوا أنفسهم أمام منطقة تموج في كثير من الأحيان بالفتن والغارات، فأثروا القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاضطلاع بدور المصلح الحامل لتبراس الهداية في ذلك الصقع من أرض الإسلام .

ولما ننسى أن مما [] ساعدتهم على الاحتفاظ بهذه السياسة ما يقوم به [] سلاطين (إموشاغ) الذين يتولون زمام الأمور في صحراء أزواد، من توفير الحماية للجميع من ينضوي تحت سلطتهم ولما سيما السوقيون الذين يمثلون السلطات الدينية، فهم المدافعون المحامون عنهم في وجه الأخطار الداهمة، نظرا لمكانة العلماء والقضاة عندهم .

[] وقد أفادتنا بعض المصادر التاريخية في المنطقة بأن ذلك التقسيم للأدوار كان نتيجة لتوافق تاريخي أبرم بين سلاطين (إموشاغ) وعلماء السوقيين .

[] وبعد ما بدأ (إموشاغ) يفقدون السيطرة على الأمور نتيجة للاستعمار الفرنسي الذي سجل أبناء قبائل الصحراء الأزواذية في مقاومته أرقى أنواع البطولات وحطموا فيه الرقم القياسي في معاني الشجاعة والصمود ورغم كل ذلك لم يسمح عدم تكافؤ القوى لهم بالاستمرار [] أكثر من ثلاثة عقود حافظ السوقيون على نفس [] النهج [] لما أن وضعهم الأمني لم يزل في صحة واعتدال شأنهم في ذلك شأن غيرهم من القبائل في الصحراء الأزواذية .

مما سبق يتبين لنا أنه لم تكن السياسة غائبة في اهتمامات القادة الدينيين السوقيين، فلم يغيبوا يوما من الأيام عما يجري بين الراعي والمرعية بل حرصوا على إبداء موقفهم الديني البحت أمام زعماء الطوارق غير هيايين ولا وجلين، ولم يديروا ظهورهم لما يطرأ على المنطقة من أحداث، بل يكاد المنصف يجزم أن غالب ما وقع في تلك الحقب التاريخية، من اتصالات ومعاهدات ومراسلات بين السلاطين وشتى محابر وأقلام السوقيين وهذا ما جعل القضاة من السوقيين هم الأداة المعبرة عن سياسات الدولة الأمازيغية في الصحراء الطارقية

والمجدير بالذكر أن المعطيات التاريخية والوثائق التي بأيدينا سجلت اهتمام علماء السوقيين بمصير وطنهم قبل الاستعمار إلى وصول الزحف الفرنسي .

وكان لبعض النخب العلمية السوقية مواقفهم الإصلاحية المشهودة المشهورة في كثير من الأزمات التي عصفت بالمنطقة،

واحتفظت ذاكرة تاريخ الصحراء الأزواذية بممارسة هؤلاء العلماء دورهم الديني في الحفاظ على الروابط الودية وإن اقتضى الأمر أحيانا [] عزل بعض السلاطين الذين لا يهتمون بالأهلية المطلوبة في إدارة شؤون البلاد والعباد.

وأطلق علماء السوقيين مبادرات سياسية واجتماعية في هذا الاتجاه وأقنعوا زعماء (إيموشاغ) [] لقبول هذه المبادرات ومن ذلك رسالة الشيخ هارون بن محمد الإدريسي السوقي إلى الإمام محمد بلو بن عثمان فودي يخطب فيها وده ويرسل إليه ببيعة علماء السوقيين له وكل هذا من أجل أن يكف عن غزو البلاد وإليك أبيات من قصيدته وهي:

إلى سيد سادت جدودته قبل [] [] [] [] كذاك يسود بالجدود له النسل

إلى الشيخ نجل الشيخ والعلم الذي [] له اخضوضعت في عزها البيض [] والكحل

حمدنا إليك الله جل جلاله [] بما اتضحت من زور مصباحك السبل

بعثت بهذي بيعة مستمرة [] [] [] تقوم بما قامت به اليد والرجل

ولما يغيب عن الأذهان أن عالما من علماء السوقيين المشهورين هو الذي وفد على والي (إكدر) [] المنصب من قبل الخلافة العثمانية لأخذ موافقته على تنصيب السلطان الأول لسلاطين [] [] [] (إموشاغ) كاردنا بن أشود

وظل رجال العلم السوقيون على صلة بسلاطين (إموشاغ) بل هم همزة وصل بينهم وبين العامة في البلد، ولهم مواقف مع الظلمة منهم مشهورة، لسننا بصدد ذكرها الآن وينبغي التنبيه إلى أن شكل السلطة في المجتمع الطارقي ينطلق في الغالب من واقع الغلبة

والمقوة فلم يكن هناك دستور موضوع ولماجالس ثابتة، إلما أن زعماء الطوارق في بداية الأمر يتمتعون بوازع ديني قوي مما سهل أمام قضاة السوقيين وعلمائهم أن يوزعوا السلطة إلى شقين اثنين سلطة تنفيذية للدفاع عن البلد أمام الأخطار وأخرى قضائية تتمتع بجميع الصلاحيات القضائية.

وهذه المعطيات تعطي دلالة على ما سبق من اهتمام علماء السوقيين بقضايا وطنهم ودفاعهم عنه.